مُقَدِّمَة

تتزايد الحاجة ـ ونحن على أبواب القرن الحادى والعشرين ، وما يفرضه علينا من تحديات وضروريات ـ إلى حماية أطفالنا من المخاطر القادمة ، وتهيئتهم للحياة المستقبلية . مما يوجب إعادة النظر فى تربيتهم على أسس تأخذ فى الاعتبار تطورات المرحلة القادمة ،والتى بدأت تتلاحق من الآن . ولعل أهم هذه التطورات وأخطرها مايطلق عليه الغزو الثقافى ، والذى تستخدمه الدول المتقدمة ـ بعد الغزو العسكرى ـ لطمس هوية الشعوب النامية ، وفرض سيطرتها الفكرية والاجتماعية عليها .

ولقد أصبحت التربية السياسية للأطفال فى عصرنا الحالى أمرًا بالغ الأهمية بالنسبة لمسار الأمم وتقدمها . وتتطلب سرعة الأحداث الجارية هنا وهناك أن يصاحبها مشاركة فعلية من الشباب فى تشكيل وصنع المستقبل، وتوجيه مسار الأحداث بدلا من الوقوف عند مرحلة التأثر بها .. لذا فإن عملية التنشئة السياسية لأطفالنا يجب أن تبدأ فى السنوات المبكرة من حياتهم ، حتى تؤتى هذه العملية ثمارها المرجوة ، وهو ما يحدث فى دول العالم المتقدم . ففى الولايات المتحدة الأمريكية على سبيل المثال يبدأ التعليم السياسى للطفل فى سن الثالثة أى قبل التحاقه بالمدرسة حيث يرتبط عاطفيًّا برموز بلده ، وهيكل وصور نظامها السياسى ، ويحدث ذلك كله قبل بداية الوعى السياسى .

وتبدو أهمية التنشئة السياسية لأطفالنا ومراهقينا فى ضوء مايعانيه المجتمع المصرى من فراغ سياسى ، وعدم اتفاق أفراده على نظرية سياسية متكاملة ، والتأرجح بين الأنظمة السياسية الدولية المختلفة ، كما تبدو هذه الأهمية كذلك لانشغال كثير من الشباب عن واقعه ، وعدم الاهتمام بمشاكل الوطن وقضاياه والانغماس فى قضايا وأمور هامشية . والأمية السياسية التى تمثل أهم مشكلات الشباب المصرى .

وبالنظر إلى نتائج الدراسات المختلفة لقياس الرأى العام ، نجد أن السمة الأولى الملفتة للنظر هى نقص الوعى السياسى والاجتماعى للأفراد تجاه القضايا المحلية ، أو القومية التى يتعرض لها مجتمعنا المصرى[1] .

والواقع أن تأثير السياسة ليس مقصورًا على الفرد فقط ، وإنما ينعكس على الأمة بأكملها . فيؤثر على نظام الحكم فيها ، وسياستها العامة . ومن هنا تأتى أهمية

التنشئة السياسية لكل من الفرد والمجتمع . وهو ماتنادى به الفلاسفة والمفكرون منذ القدم .

ففى القرن السادس قبل الميلاد دعا الفيلسوف الصينى «كونفوشيوس» الدولة إلى القيام بمهمة تعليم الناشئة لخلق نظام إجتماعى سليم يؤدى إلى قيام حكم صالح . ثم أتى من بعده «أفلاطون» و «أرسطو» اللذان أكدا على أهمية التربية منذ الصغر ، فاعتبر أفلاطون فى كتابه «الجمهورية» التعليم واحدا من أهم أعمدة الدولة الفاضلة ، مشيرًا إلى أنه لاسبيل إلى خلق المواطن الصالح إلا من خلال نظام تعليمى سديد . بينما ذكر «أرسطو» فى الكتاب الأخير من سفر «السياسة» أن من ضمن واجبات الحاكم أن يهتم غاية الاهتمام بأمر تربية الأحداث . فالدولة التى تهمل العناية بهذا الجانب تضر بسياستها .

وفى العصر الحديث نبه «روسو» إلى تأثير الثقافة والتنشئة السياسية على نظام الحكم فى الدولة وسياستها العامة[٢] .

كما جاء الإسلام لينظم العلاقة بين الفرد والمجتمع وبين الآباء والأبناء ، فحث الآباء على تنشئة أبنائهم تنشئة سليمة . ونظمت الشريعة الإسلامية الحقوق السياسية للمواطنين ، مما أدى إلى ازدهار الدولة الإسلامية فى عصورها الأولى .

وتتعدد وسائل التنشئة السياسية ومؤسساتها من الأسرة إلى المدرسة والحزب ودور العبادة وجماعات الرفاق مرورًا بوسائل الاتصال والتى تلعب دورًا هامًا فى نقل وتبادل المعلومات . وتؤثر تأثيرًا عميقًا على اتجاهات الفرد والمجتمع ، وعلى الهياكل السياسية وعلى الحالة النفسية لمجتمعات بأكملها ، وأصبحت وسائل الاتصال تلعب أدوارًا سياسية عن طريق ماتقدمه من مواد اتصالية ، كما أنها تلعب دورًا مؤثرًا فى عملية صنع القرار السياسى .

وقد نص الإعلان العالمى لحقوق الإنسان على أن من حق الإنسان أن «يعلم» ، وعلى ذلك فإن تيسير المعلومات له عن طريق «الأخبار» أمر ضرورى وهام .

وتدرك الحكومات تمامًا أنه يتعين عليها لكى تحظى بتأييد الجماهير ، أن تزودهم بالمعلومات والأخبار والحقائق التى تساعدهم على الاشتراك فى شئون الحكم . ومن هنا فإن الإعلام الحكومى - والتليفزيون أقوى أدواته - يلعب دورًا كبيرًا فى نشر

الأخبار والمعلومات ، بخاصة إذا كانت من ذلك النوع الذى يصعب على الإعلام غير الحكومى الوصول إليه وتزويد الجماهير به .

فالعصر الذى نعيشه الآن هو عصر المعلومات والانتقال الحر للأفكار . هو عصر ثورة الاتصالات . والأمم التى تغمض عينيها عن تلك الثورة ، ولاتتعامل معها بإيجابية، ولا تتفاعل معها بعمق ، ستجد نفسها عاجزة عن فهم العصر الذى تعيشه ، وتعزل نفسها عن مسار العالم الذى أصبح قرية صغيرة .

وترتبط الإستراتيجية الإعلامية فى مصر بالإستراتيجية العامة للدولة ، ومن الأركان الهامة لتلك الإستراتيجية الإعلامية حق المواطن فى الإعلام ، والذى يتمثل أساسًا فى أن يعلم وأن يُعلم عنه وفى أن يتعلم ويتثقف ، وأن يروح عنه بإسلوب يتفق وثقافة المتلقى ، وهو ما يعنى الإسهام إعلاميًا فى عمليات إعادة بناء الإنسان المصرى .

ولقد شهد التليفزيون المصرى خلال السنوات القليلة الماضية تطورًا هائلا بخاصة من ناحية الشكل ـ ارتكز هذا التطور على عدة محاور فى مقدمتها مواكبة ثورة الاتصال ، والبث عبر الأقمار الصناعية إرسالاً واستقبالاً .

ومن أبرز ملامح التطور الملموس خلال عام ١٩٩٠ ، استخدام القناة غزيرة الإشعاع بالقمر الصناعى العربى (عربسات) لبث البرامج التليفزيونية المصرية من القناة الفضائية المصرية الدولية (C. E. I) لتغطى القارة الإفريقية والمنطقة العربية وبعض دول آسيا وجنوب أوروبا . كذلك تأسيس الشركة المصرية للأخبار التى تستقبل إرسال شبكة (CNN) الإخبارية الأمريكية . ثم إنشاء القناة الخاصة للمعلومات والتى افتتحت فى نهاية ١٩٩١ . ثم إطلاق الجيل الثانى من القمر الصناعى العربى عربسات والذى سيفتح الطريق أمام وصول الإعلام التليفزيونى المصرى إلى مناطق عديدة .

ويعتبر التليفزيون أقوى وسائل الاتصال وأعظمها تأثيرًا . كما يعد قوة تربوية ، ومصدرًا هامًا للمعرفة والمعلومات . ويمتد دوره ليشمل عملية التنمية السياسية ، فهو مصدر للخبرة السياسية وقناة لنشر الثقافة السياسية ، وتكوين وعى سياسى لدى الجماهير يدفعها إلى الاهتمام بالشئون السياسية وخطط التنمية .

وبعيدًا عن تناول الآثار المختلفة للتليفزيون على الطفل ، فإنه من الثابت أن أطفال التليفزيون يتمتعون ـ بصفة عامة ـ وفى مرحلة مبكرة بمعارف أكثر تعقيدًا عن عالمهم

وعالم الكبار . وأصبح الطفل الذى يعيش فى القاهرة ـ بفضل التليفزيون ـ يعرف كيف يعيش أقرانه فى شمال العراق . كما يستطيع الطفل الذى يعيش فى نيويورك أن يتعرف على المملكة العربية السعودية من خلال مايعرضه تليفزيونه المحلى من صور للكعبة المشرفة .

وجملة القول إن الإعلام الحالى ـ والتليفزيون أقوى وسائله ـ أصبح جزءًا لايتجزأ من العملية التربوية للطفل ، وتنشئته الاجتماعية والسياسية ، وتشكيل وجدانه ، وتكوين ثقافته .

والواقع أن التليفزيون المصرى قد أغفل ـ إلى حد ما ـ هذه الحقيقة ، حيث تتمادى برامجه التى تخاطب الطفل فى الترفيه ، غافلة بحال «الإعلام» والأخبار والمعرفة ، فى عصر أهم ما يميزه هو المعرفة والمعلومات . فالمعلومات والمعارف المتدفقة ، من كل صوب تحيط بنا فى كل مكان . ولابد من استيعابها والتعامل معها .

وفى المرحلة الراهنة من تاريخنا المعاصر نحس باحتياج حقيقى لتزويد الأطفال بالأخبار وخلفياتها ـ إذ إن هذا اللون من الإعلام أصبح ضرورة حتمية ، بخاصة فى ظل التغيرات السياسية والاجتماعية التى شهدها ـ ويشهدها ـ العالم فى السنوات الأخيرة .

وتزويد الأطفال بالأخبار وبما يحدث فى العالم يكوّن لديهم حصيلة معرفية بالغة الأهمية تجعلهم يواكبون عصرهم ولايتخلفون عنه ، ولاتقف بهم معلوماتهم عند عتبات الماضى .

ويقدم التليفزيون المصرى منذ عام ١٩٨٣ نشرة أخبار خاصة للأطفال ، ولكنه ـ كما أثبتت دراسة للمؤلف ـ لايقدم للأطفال ما يهمهم من أحداث، ومايتطلعون إليه من أخبار . تاركاً الطفل المصرى وحيدًا وسط مايحدث حوله من تطورات وأحداث داخلية وخارجية . وبدلاً من أن تشبع هذه النشرة حاجته ، وتصقل شخصيته ، تقدم له نماذج غريبة من ثقافات لاتتفق مع ثقافته ، وتتناقض مع ما يراه فى مجتمعه .

والتناقض بين مايشاهده الطفل على شاشات التليفزيون وبين الواقع المعاش الحافل بالأزمات والمشاكل ، يودى إلى اهتزاز ثقة الطفل فى هذا الجهاز الإعلامى . وقد يجعل من الطفل إنساناً مزدوج الشخصية يقول مالا يفعل ، ويظهر خلاف مايبطن ، ويساير الآخرين ليس بالعمل ولكن بالقول .

وفى الوقت الذى تزخر فيه برامج الأطفال فى التليفزيون المصرى بالعديد من الشخصيات الغريبة على الطفل ، نجد أن الطفل الأمريكى - على سبيل المثال - ينشأ منذ نعومة أظافره على كراهية العرب ، أو فى أحسن الأحوال على احتقارهم ، وذلك من خلال برامج الأطفال التى يبثها التليفزيون الأمريكى . فى حين أننا نمجد الشخصية الأمريكية - والغربية عموماً - ونضفى عليها هالة من البطولة لنجعلها قدوة لأطفالنا .

ولقد أبدى الأطفال - فى دراسة المؤلف عن نشرة أخبار الأطفال - عدم رضائهم على هذه النشرة التى تقدم خصيصا لهم ، وانصرف كثير منهم عنها، وطالبوا بأن يقدم فيها أخبار سياسية . وذكر (٦٥٪) من الأطفال أنهم يتابعون نشرة أخبار التليفزيون العادية . كما ذكر نصفهم أنهم يستفيدون أكثر من نشرة أخبار التليفزيون العادية[٣] .

وهذه مؤشرات خطيرة تكشف عن رفض الطفل المصرى لما يقدم له من أخبار فى معظمها «خفيفة» وطريفة لاتفى بحاجته إلى المعرفة . وهى نقطة هامة دفعت المؤلف إلى محاولة التعرف على علاقة الطفل بنشرة الأخبار العادية ومدى إقباله عليها ، ودور هذه النشرة فى التنشئة السياسية للطفل المصرى . بخاصة وأنه لاتوجد دراسات سابقة تعرضت لهذا الدور . فالدراسات التى تناولت التنشئة السياسية للأطفال ركزت على دور المناهج الدراسية والأسرة والصحف ، والمجلات ، أو دور وسائل الإعلام عامة . و لم تتطرق إلى التليفزيون وأخباره بصورة مفصلة .

كما أوضحت العديد من الدراسات الميدانية أن طلاب المجتمع المصرى ينصرفون عن متابعة الأخبار والبرامج السياسية المقدمة عبر وسائل الإعلام . ومن هذه الدراسات دراسة نسرين البغدادى (١٩٨٧) والتى أجريت على عينة من طلاب المجتمع المصرى بالمدارس الثانوية ، وأثبتت أن هؤلاء الطلاب لايهتمون بممارسة الأنشطة السياسية ، ولا بمشاهدة البرامج السياسية المقدمة عبر وسائل الإعلام . حيث حظيت نسبة مشاهدة البرامج السياسية بـ (١٦,٧٪) فقط من حجم المشاهدة على الرغم من أن ٩٧,٧٪) يشاهدون التليفزيون، فى حين حظيت البرامج الترفيهية بنسبة عالية ، فمثلت الأفلام والمسلسلات نسبة (٨٤٪)[٤] .

ويمكن إرجاع هذا إلى شكل البرامج السياسية والأخبار المقدمة عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة ، حيث تقدم - غالباً - فى قالب ينفر المشاهد والمستمع من متابعتها .

كما أثبتت دراسة عن التنشئة السياسية لطلاب المرحلة الثانوية الفنية تدنى المعرفة السياسية بصورة كبيرة لدى طلاب هذه المرحلة . حيث كان متوسط درجات

الطلاب على اختبار المعرفة السياسية أقل من النصف بكثير . كما بدت السلبية واللامبالاة التى يعانى منها المجتمع فى صورة مصغرة داخل المدرسة الثانوية الفنية ، حيث لم تزد نسبة المشاركين فى اتحادات الطلاب والمعسكرات المدرسية ومجلات الحائط عن ٨٪[٥] .

وفى دراسة عن دور الاتصال فى التنشئة السياسية والاجتماعية على عينة من طلاب المدارس الاعدادية بريف مصر ، جاءت البرامج الإخبارية والسياسية فى المرتبة الرابعة من بين البرامج التى يفضل الطلاب مشاهدتها وحظيت بنسبة ١٢.٩٪ . كما توصلت الدراسة إلى أنه كلما زاد معدل استخدام الأطفال لوسائل الإعلام المختلفة ازدادت المعرفة السياسية لدى هؤلاء الأطفال . وأن هناك علاقة طردية بين مشاهدة الأطفال للبرامج الإخبارية والسياسية والاهتمام بالأحداث السياسية[٦] .

كما وجد بعض الباحثين الأمريكيين أن الأفراد الذين يشاهدون الأخبار فى التليفزيون بصفة مستمرة تكونت لديهم معرفة جيدة بالجانب السياسى ، وأصبحوا أكثر احتمالاً للمشاركة السياسية ، ومساندة النظام السياسى أكثر من أولئك الذين لايشاهدون الأخبار .

وقد اتفقت معظم الدراسات التى تناولت دور التليفزيون وأخباره فى التنشئة السياسية للأطفال على أهمية الأثر السياسى لأخبار التليفزيون والذى يظهر فى مسألتين محوريتين هما : تقديم التليفزيون صورة حية للأخبار السياسية ولآخر ما وصلت إليه الأحداث فى الموقف السياسى القومى والعالمى ، وقيام التليفزيون بالتعليق الإخبارى وعرض وجهة نظر أو أكثر تفيد فى فهم هذه الأحداث السياسية .

وقد تناولت العديد من الدراسات العربية أهمية التليفزيون ومكانته بين وسائل الاتصال الجماهيرى . ولكن القليل منها هو الذى تطرق إلى محاولة التعرف على دوره فى التنشئة السياسية ، والكشف عن هذا الدور . وذلك من منطلق أن الترفيه هو الوظيفة الأولى للتليفزيون ، ونتيجة لتأخر الاهتمام بدور وسائل الاتصال الجماهيرى فى عملية التنشئة السياسية .

كما أن الدراسات التى تناولت موضوع التنشئة السياسية فى مصر قليلة جدًّا . وهذا القليل اتجه إلى دراسة أثر المدرسة والمناهج الدراسية ، ودور وسائل الإعلام عمومًا . أما الدراسات التى تناولت التليفزيون ودوره فى التنشئة السياسية فى مصر فغير موجودة . وهو مادفع الباحث إلى محاولة الكشف عن هذا الدور .

وحيث إن التنشئة السياسية تتأثر بالمضمون السياسى ، لذا اتجهت الدراسة مباشرة إلى نشرات أخبار التيفزيون والتى يغلب عليها الطابع السياسى أكثر من البرامج التليفزيونية الأخرى . بخاصة وأن الدراسات الأمريكية فى هذا الصدد قد أثبتت أن الأفراد الذين يشاهدون الأخبار بصفة مستمرة تكونت لديهم معرفة جيدة بالجانب السياسى ، وأصبحوا أكثر احتمالاً للمشاركة السياسية ومساندة النظام السياسى أكثر من الأفراد الذين لايشاهدون الأخبار.

والتنشئة السياسية عملية مستمرة ، تستمر مع الفرد فى جميع مراحل حياته . واختارت الدراسة التطبيقية مرحلة المراهقة المبكرة (١٣ ـ ١٥ سنة) حيث إنها من المراحل الهامة فى حياة الفرد ، ويمكن أن يظهر فيها أثر عملية التنشئة السياسية بوضوح ، حيث يبدأ الأفراد فى تلك المرحلة تحمل بعض واجبات «المواطنة» ويظهر خلالها الشعور بالمسئولية الاجتماعية ، أى محاولة فهم ومناقشة المشكلات الاجتماعية والسياسية والعامة . وتكتسب التنشئة السياسية للمراهقين وضعًا متميزًا باعتبارهم الفئة التى تتحمل قيادة العمل السياسى إن آجلاً أو عاجلاً . ويبدأ الفرد خلال تلك المرحلة فى تفهم هويته ووعيه بالعالم السياسى والأحداث السياسية ، وتسبق تلك المرحلة مرحلة المشاركة الفعلية فى الحياة السياسية . كما أن مرحلة المراهقة هى مرحلة مهملة إلى حد ما من حيث الدراسات السياسية والإعلامية؛ لأنها تقع بين مرحلة الطفولة ومرحلة الشباب . و لم تتناول مرحلة المراهقة بالقدر الكافى والذى يتناسب مع أهميتها من حيث التنشئة السياسية .

وعلى ذلك فقد رأى المؤلف أهمية تسليط الأضواء على هذه القضية الهامة ، وتحديد متغيراتها وأبعادها ، وإثارة التساؤلات حولها سعياً وراء إيجاد الحلول المناسبة لها.

وقد تضمن هذا الكتاب بابين رئيسيين ، **الأول** : خاص بإطار نظرى عن التنشئة السياسية وأخبار التليفزيون . **والثانى** : خاص بالدراسة التطبيقية التى أجراها المؤلف حين قدم رسالته لنيل درجة الدكتوراه فى الإعلام وثقافة الطفل عام ١٩٩١ ، مع تحديث وتطوير لما جاء فيها يتواءم مع المتغيرات التى طرأت على وسائل الاتصال الجماهيرى حتى وصلت إلى شكلها الحالى ، وما تبعه من تغير لبعض وظائفها ومنها التنشئة السياسية .

وبعد . فإننى آمل أن يحقق هذا الكتاب الأهداف المرجوة منه ، وأن يثير اهتمام الباحثين لتناول هذا الجانب الهام من جوانب التنشئة السياسية بخاصة فى علاقتها بوسائل الإعلام . وأن يسهم فى إضافة جهد متواضع إلى المكتبة العربية فى مجال التنشئة السياسية .

والله من وراء القصد، وهو يهدى إلى سواء السبيل .

مراجع المقدمة

(١) ناهد رمزى . "الرأى العام وسيكولوجيا السياسة" ، القاهرة :مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩١، ص ٢٦٦ .

(٢) Gabriel Almond and Verba, "Copartive Politics", Little Brown and Company, Canada Limeted, 1981, P.5 .

(٣) محمود حسن إسماعيل . "نشرة أخبار الأطفال فى التليفزيون المصرى وعلاقتها بالجانب المعرفى والاجتماعى للطفل" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عين شمس : معهد الدراسات العليا للطفولة ، ١٩٨٧ .

(٤) نسرين إبراهيم البغدادى . "التعليم والتنشئة السياسية فى مصر ـ دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ المرحلة الثانوية" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عين شمس : كلية الآداب ، ١٩٨٧، ص ١٢٦ .

(٥) محمد إبراهيم أبو خليل . "التنشئة السياسية لطلاب المرحلة الثانوية الفنية بمحافظة البحيرة ـ دراسة تقويمية" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة : كلية الإعلام ، ١٩٩٠ ، ص ٢٢٠ .